(٥)

(ثواب الّذين يتّبعون الرسول الكريم عظيم ، وعذاب الّذين يتولّون عنه أليم ، وليس على الرّسول إلاّ البلاغ المبين).

الآيات (٩٢-١١٢)

إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا
بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ

﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا
لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

إنّ هذه أمّتكم أمّةً واحدة: إنّ هذه ملّتكم ملّةً واحدة (١) قال ابن عبّاس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبدالرّحمن بن زيد بن أسلم : دينكم دينٌ واحد(٢) فقوله : ﴿إنّ هذه﴾ إنّ واسمها . وأمّتكم خبر إنّ. أي هذه شريعتكم الّتي بيّنت لكم ووضّحت لكم. وقوله : ﴿أمّةً واحدة﴾ نصب على الحال(٣) من أمّتكم. والعامل في الحال معنى التّوكيد في إنّ . وجاءت الحال من الجامد لأنّه وصف(٤)

وتقطّعوا أمرهم بينهم: وتفرّق النّاس في دينهم الّذي أمرهم الله به ودعاهم إليه فصاروا فيه أحزاباً ، فتهوّدت اليهود وتنصّرت النّصارى وعُبِدَتِ الأوثان(٥) .

---

(١) تفسير الطّبري ١٧/ ٦٧

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٤

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٤

(٤) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ٦١

(٥) تفسير الطّبري ١٧/ ٦٨

وهو مؤمن : وهو مقرٌّ بوحدانيّة الله مصدّقٌ بوعده ووعيده متبرّىءٌ من الأنداد والآلهة (١) .

فلا كفران لسعيه : قال أبو جعفر : والكفران مصدر من قول القائل : كفرت فلاناً نعمته فأنا أكفره كفراً وكفراناً (٢) : «يقول: فإنّ الله يشكر عمله الّذي عمل له مطيعاً له وهو به مؤمن فيثيبه في الآخرة ثوابه الّذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه ولايكفر ذلك له فيجحده ويحرمه ثوابه على عمله الصّالح (٣).

وحرامٌ على قرية أهلكناها أنّهم لايرجعون: اختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿وحرام﴾ فقرأته عامّة قرّاء أهل الكوفة: «وحِرْم» بكسر الحاء . وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة : «وحرام» بفتح الحاء والألف .والصّواب من القول في ذلك أنّهما قراءتان مشهورتان متّفقتا المعنى غير مختلفتيه . وذلك أنّ الحِرْم هو الحرام والحرام هو الحِرْم ، كما الحِلّ هو الحلال والحلال هو الحِلّ ، فبأيّتهما قرأ القارىء فمصيب ، وكان ابن عبّاس يقرؤه : «وحِرْم» (٤) روي قتادة عن ابن عبّاس : معناه واجبٌ عليها إذا هَلَكَتْ ألاّ ترجع إلى دنياها (٥) وجاء في لسان العرب (٦) :«وروى الفرّاء بإسناده عن ابن عبّاس: وحِرْم ، قال الكسائي : أي واجب. قال ابن برّي : إنّما تأوّل الكسائيّ وحرامٌ في الآية بمعنى واجب ، لتسلم له لامن الزّيادة فيصير المعنى عنده واجبٌ على قرية أهلكناها أنّهم لايرجعون .ومن جعل حراماً بمعنى المنع جعل لازائدة تقديره وحرامٌ على قرية أهلكناها أنّهم يرجعون. وتأويل الكسائيّ هو تأويل ابن عبّاس. ويقوّى قول الكسائيّ إنّ حرام في

(١) تفسير الطّبري ١٧/ ٦٨
(٢) تفسير الطّبري ١٧/ ٦٨
(٣) تفسير الطّبري ١٧/ ٦٨
(٤) تفسير الطّبري ١٧/ ٦٨
(٥) لسان العرب : «حرم»
(٦) لسان العرب : «حرم»

الآية بمعنى واجب قولُ عبدالرحمن بن جُمانة المُحاربيّ جاهليّ:

فإنّ حراماً لاأرى الدّهر باكيًا : على شَجوه إلاّ بكيتُ على عمرو

وقرأ أهل المدينة وحرام ، قال الفرّاء : وحرام أفشى في القرّاءة»(١)

حتّىّ إذا فتحت يأجوج ومأجوج : حتّىّ إذا فُتِحَ عن يأجوج ومأجوج ، وهما أمّتان من الأمم ، ردمهما (٢) ويأجوج ومأجوج بالهمز وتركه ، اسمان أعجميّان لقبيلتين، ويقدّر قبله مضاف أي سدّهما وذلك قرب القيامة (٣) .

وهم من كلّ حَدَب: من كلّ شَرَف ونَشَز وأكمة (٤) ومرتفعٍ من الأرض(٥)

ينسلون : يخرجون مشاةً مسرعين في مشيهم كنسلان الذّئب(٦) أي يسرعون في المشي إلى الفساد (٧) .

وقد ورد ذكر خروج يأجوج ومأجوج في أحاديث متعدّدة من السّنّة النّبويّة (٨) ومنها الحديث الّذي رواه الإمام أحمد عن النّوّاس بن سمعان الكلابي عن النّبيّ صلّى عليه وسلّم. ويُفْهَم من هذا الحديث الشّريف أنّ من علامات السّاعة خروج الدّجّال الّذي يعيث في الأرض فساداً . وفي أثناء ذلك ينزل المسيح عيسى عليه السّلام عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق فيتبع الدّجّال فيقتله عند باب

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١١

(٢) تفسير الطّبري ١٧/ ٦٩

(٣) الجلالين

(٤) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٢

(٥) الجلالين وتفسير ابن كثير ٣/ ١٩٥

(٦) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٣

(٧) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٥

(٨) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٥ وطبعه الشّعب ٥/ ٣٦٧ وثمّة تخريج الأحاديث.

لُدّ الشّرقي. ويوحي الله تعالى إلى عيسى عليه السّلام بأنّه عزّ وجلّ قد أخرج عباداً من عباده عزّ وجلّ لايدان لك بقتالهم فَنَحِّ المسلمين عن طريقهم إلى الطّور فيبعث الله عزّ وجلّ يأجوج ومأجوج الذّين يعيثون في الأرض فساداً فيدعو عيسى عليه السّلام وأصحابه عليهم ويستجيب الله تعالى الدّعاء ويهلك يأجوج ومأجوج ويبعث الله تعالى مطراً مدّة أربّعين يوما يطهّر الأرض وينظّفها ويبارك الله تعالى في الأرض ثمّ يبعث الله تعالى ريحاً طيبة تقبض روح كلّ مسلم ويبقى شرار النّاس وعليهم تقوم السّاعة . وانفراد بإخراج الحديث كذلك الإمام مسلم دون البخاري ورواه مع بقيّة أهل السّنن ، وقال التّرمذيّ حسن صحيح (١) وقد ثبت في الحديث أنّ عيسى ابن مريم يحجّ البيت العتيق (٢) وروى الامام أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :لَيُحَجَّنَّ هذا البيت ولَيُعْتَمَرَنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج . انفرد بإخراجه البخاري(٣) .

واقترب الوعد الحقّ: اقترب يوم القيامة(٤)

فإذا هي شاخصةٌ أبصار الّذين كفروا: أي أجفانهم لا تَطْرِف(٥)

ياويلنا : يقولون ياويلنا (٦)

حصب جهنّم : وقود جهنّم وشجرها وحطبها(٧)

واردون : داخلون (٨)

---

(١) انظر الحديث كاملاً في تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٥ و ١٩٦ وطبعة الشعب ٥/ ٣٦٨

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٧ وطبعة الشعب ٥/ ٣٧١

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٧ وطبعة الشعب ٥/ ٣٧١

(٤) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٣ وتفسير ابن كثير ٣/ ١٩٧

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني :«شخص» ٢٥٦

(٦) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٣

(٧) انظر تفسير الطّبري ١٧/ ٧٤ ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢١٢

(٨) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٥

لهم فيها زفير: الزّفير تردّد النَّفَس حتّى تنفتح الضّلوع منه. وازدفر فلانٌ كذا إذا تحمّله بمشقّة فتردّد فيه نَفَسُه. وقيل للإماء الحاملات للماء زوافر (١) والزّفير خروج أنفاسهم، والشّهيق ولوج أنفاسهم(٢).

وهم فيها لايسمعون: لايسمعون شيئاً لشدّة غليانها(٣).

الحُسْنى: السّعادة (٤) السابقة من الله لهم (٥)

لايسمعون حسيسها: لايسمع هؤلاء الّذين سبقت لهم منّا الحُسْنى حسيس النّار. ويعنى بالحسيس الصّوت والحسّ (٦) وعُبِّر عن الحركة بالحسيس والحس(٧) لايحزنهم الفزع الأكبر: عَن ابن عبّاس يعنى النّفخة الآخرة (٨)

وتتلقّاهم الملائكة: وتستقبلهم الملائكة يهنّئونهم (٩)

هذا يومكم الّذي كنتم توعدون: يقولون هذا يومكم الّذي كنتم توعدون فيه الكرامة من الله والحباء الجزيل من الثّواب على ما كنتم تَنْصَبون في الدّنيا لله في طاعته (١٠) وتنصبون بمعنى تتعبون.

يوم نطوي السّماء كطيّ السّجلّ للكتب: السّجلّ: الصّحيفة (١١)

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «زفر» ٢١٣

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٧

(٣) الجلالين

(٤) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٥ وتفسير ابن كثير ٣/ ١٩٧

(٥) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٧

(٦) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٧

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «حس» ١١٦

(٨) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٨

(٩) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٨

(١٠) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٨

(١١) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٨ و٧٩ ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢١٣

واجتمعت القرّاء على السّجلّ بالتّثقيل (١) أي أجمعوا على تشديد اللّام (٢) وأمّا الكتاب فإنّ قرّاء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة قرءوه بالتّوحيد :﴿كطيّ السّجلّ للكتاب﴾ وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة : ﴿للكتب﴾ على الجماع(٣) واللّام في قوله للكتاب بمعنى على (٤) والكتب جمع الكتاب، والكتاب بمعنى المكتوب (٥) والمعنى : يوم نطوي السّماء كطيّ السّجلّ على ما فيه من الكتاب (٦) .

ولقد كتبنا في الزّبور: الزّبور كتب الأنبياء كلّها الّتي أنزلها الله عليهم (٧) وزبَرْت الكتابّ كتبته كتابةً عظيمة. وكلّ كتاب غليظ الكتابة يقال له زبور . وخُصَّ الزّبور بالكتاب المنزّل على داود عليه السّلام (٨) عن سعيد بن جبير ، الزّبر : الزّبور والتّوراة والإنّجيل والقرآن(٩) .

من بعد الذّكر: الذّكر أمّ الكتاب الّتي عنده في السّماء (١٠) واللّوح المحفوظ (١١) .

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢١٣

(٢) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٩

(٣) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٩

(٤) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٩ والجلالين

(٥) الجلالين

(٦) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٩

(٧) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٠

(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني :«زبر» ٢١١

(٩) تفسير الطّبري ١٧/ ٨١ وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٠١

(١٠) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٠

(١١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠١

أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون: قيل المراد أرض الجنّة [١] وقيل المراد الأرض في الدّنيا يورثها الله المؤمنين [٢] وعن ابن عبّاس أنّها أرض الأمم الكافرة ترثها أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم [٣] .

إنّ في هذا لبلاغاً : البلاغ التّبليغ والكفاية [٤] يقول تعالى ذكره : إنّ في هذا القرآن الّذي أنزلناه على نبيّنا محمّد ﷺ لبلاغاً لمن عبدالله بما فيه من الفرائض الّتي فرضها الله إلى رضوانه وإدراك الطّلبة عنده[٥] .

فإنّ تولّوْا فقل آذنتكم على سواء: فإنّ أدبر هؤلاء المشركون يامحمّد عن الإقرار بالإيمان بأن لا إله لهم إلاّ إلهٌ واحدٌ فاعرضوا عنه وأبوا الإجابة إليه فقل لهم قد آذنتكم على سواء ،يقول: أعلمهم أنّك وهم على علمٍ بأنّ بعضكم لبعض حربٌ لاصلح بينكم ولا سلم ، وإنّما عني بذلك قوم رسول الله ﷺ من قريش[٦] .

وإن أدري : وما أدري[٧]

وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاعٌ إلى حين : فإن أخّر عنكم عقابه على ما تخفون من الشّرك به أو تجهرون به فما أدري ما السّبب الّذي من أجله يؤخّر ذلك عنكم . لعلّ تأخيره ذلك عنكم مع وعده إيّاكم بفتنة يريدها بكم ولتمتّعوا بحياتكم إلى أجلٍ قد جعله لكم تبلغونه ثمّ ينزل بكم حينئذٍ نقمته[٨] .

---

(١) تفسير الطّبري ١٧/ ٨١

(٢) انظر تفسير الطّبري ١٧/ ٨٢

(٣) انظر تفسير الطّبري ١٧/ ٨٢

(٤) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني :«بلغ» ٦٠

(٥) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٢

(٦) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٣

(٧) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٤

(٨) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٤

قال ربّ احكم بالحقّ: قال محمّد أو قل يامحمّد وفق القرّاءة الأخرى يارب افصل بيني وبين من كذّبني من مشركي قومي وكفر بك وعبد غيرك بإحلال عذابك ونقمتك بهم ، وذلك هو الحقّ الّذي أمر الله تعالى نبيّه أنّ يسأل ربّه الحكم به ، وهو نظير قوله جلّ ثناؤه (١) : ﴿ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين﴾(٢) .

لـمّا كان ربّ العزّة والجلال قد بعث جميع المرسلين والنّبيّين بدين الاسلام لله تعالى ربّ العالمين ، ابتداءً بنوح عليه السّلام أوّل المرسلين ، وانتهاءً بمحمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم ، خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين ، عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين ، فذلك معناه أنّ دين الاسلام الّذي بعث الله تعالى به جميع المرسلين والنّبيّين أريد منه جعل النّاس جميعاً يعبدون الله تعالى وحده لاشريك له وإنّ تنوّعت المناهج وتعدّدت الشّرائع الموصلة إلى تلك الغاية الشّريفة. وبسب التّلاحم بين ملّة الإسلام الّتي تتسّم بها الأمّة الّتي أريد لها أنّ تكون أمّة واحدة كان في أوّلى آيات القسم تعبيرٌ عن ملّة الإسلام الواحدة بأمّة الإسلام الواحدة. إنّ السّياق يخاطب النّاس عموماً والمسلمين خصوصاً بأنّ ملّة الإسلام هي ملّتهم حال كونها ملّةً واحدة ، وبأنّ الله تعالى هو ربّنا الّذي ربّانا بنعمه فعلينا جميعاً أنّ نفرده بالعبادة . لقد كان النّاس من عهد آدم عليه السّلام أمّةً واحدةً مسلمةً لله ربّ العالمين ثمّ اختلفوا فظهرت الحاجة لإرسال الرّسل وإنزال الكتب من أجلّ إعادة النّاس إلى الصّراط المستقيم . وكان نوحٌ عليه السّلام أوّل الرّسل. وقام المصطفون الأخيار بمهمّتهم خير قيام ثمّ عاد النّاس إلى الاختلاف فعاد إرسال الرّسل وإنّزال الكتب حتّى أرسل الله تعالى أشرف المرسلين وخاتم النّبيّين محمّد بن عبدالله صلّى الله وسلّم عليهم أجمعين وأنزل القرآن الكريم آخر الكتب وأشرفها. وعلى الرّغم

---

(٨) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٤

(١) سورة الاعراف ٨٩

من إرسال الرّسل وإنزال الكتب ظلّ النّاس مختلفين ، فثمّة المسلمون لله تعالى ربّ العالمين ، وثمّة الخارجون عن الصّراط المستقيم . إنّ السّياق يشير إلى هذا الاختلاف بين النّاس وتفرّقهم شيعاً وأحزاباً ويقرّر أنّ الجميع راجعٌ إلى الله تعالى للحساب والجزاء ، وذلك في قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿وتقطّعوا أمرهم بينهم كلٌّ إلينا راجعون﴾ وليس بخافٍ وجه الشّبه الكبير بين الآيتين الكريمتين الأوليين هنا وبين قول الحقّ جلّ وعلا في المعنى ذاته في سورة المؤمنون (١) . ﴿وإنّ هذه أمّتكم أمّةً واحدةً وأنا ربّكم فاتّقون . فتقطّعوا أمرهم بينهم زُبُرا (٢) كلُّ حِزْب بما لديهم فرحون. فذرهم في غمرتهم (٣) حتّى حين﴾.

ولـمّا كان من بين تلك الجماعات والأحزاب فرقةٌ ناجيةٌ ، بإذن الله تعالى، وهي بشأن أمّةّ محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم المستمسكة بتعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين وهؤلاء هم الصّالحون، أمّا الآخرون ففاسقون وكافرون ، فإنّ السّياق يتحوّل إلى الحديث عن الفريقين.

يتحدّث السّياق ابتداءً عن الفرقة النّاجية بإذن الله تعالى فيقرّر أنّ من يعمل من الصالحات بمقياس الإسلام وهو مؤمنٌ يوحّد الله تعالى ويريد بعمله الصّالح وجه ربّه الأعلى فذلك لا كفران لعمله الصّالح ولاظلم له بحذف أعماله الصّالحة الّتي أراد بها وجه ربّه الأعلى بل إنّ الملائكة الموكل إليها كتابة الاعمّال تكتب كلّ صغيرة وكبيرة، وتثبت كلّ حقّيرةٍ وجليلة.

وبشأن الأحزاب المختلفة والشّيع المتفرّقة يسكت السّياق عن إهلاك الله تعالى لها وأخذه عزّ وجلّ لها أخذ عزيز مقتدر ، ويتحوّل إلى الحكم في حقّها بأنّ ربّ العزّة والجلال قد قضى بأنّه واجبٌ على أهل قرية قد أهلكهم الله تعالى أنّهم

---

(١) الآيات ٥٢-٥٤

(٢) زبراً : أحزابا وجماعات.

(٣) في غمرتهم : في ضلالتهم.

لايرجعون إلى الحياة الدّنيا مرّة أخرى مطلقاً. إنّ حساب القوم الحقيقيّ والجزاء في الحياة الآخرة وليس في الحياة الأولى . وإذا كان الثّواب أو العقاب أكيداً في الآخرة فإنّهما قد يكونان في الأولى أيضاً، وذلك في هيئة الحياة الطّيبة في حقّ المؤمنين والمعيشة الضّنك الضّيقّة في حقّ الكافرين. لقد أشار القرآن الكريم إلى هذين النّوعين من الحياة . جاء في حقّ المؤمنين قول الحقّ جلّ وعلا في سورة النّحل (١) : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينّه حياةً طيّبةً ولنجزيّنهم أجرهم بأحْسَن ما كانوا يعملون﴾. وجاء في حقّ الكافرين قول الحقّ جلّ وعلا في سورة طه (٢) : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى .قال ربّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنتُ بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنْسَى﴾ والمعنى وكذلك تُتْرَك أيُّها الكافر اليومَ في النّار.

وشاء الله تعالى أنّ يوجد دائماً وأبداً الصّالحون والطّالحون وأن يكون الصّراع مستمراً بين الحقّ والباطل إلى أن تقوم السّاعة ومن علامات السّاعة أنّ يُفْتَحَ بإذن الله تعالى سدّ يأجوج ومأجوج الّذي بناه أساساً بعون الله تعالى الحاكم المسلم القويّ الأمين ذو القرنين على نحو ما بيّنت سورة الكهف المكّيّة الكريمة في أثناء الحديث عن ذي القرنين الّذي مكّن الله تعالى له في الأرض وهيأ له كلّ الأسباب الّتي تمكّنه من القيام بمهّمته على الوجه المطلوب(٣) .

إنّ يأجوج ومأجوج يأتون من كلّ أرضٍ مرتفعة مسرعين لايلوون على أحد ويفسدون في الأرض ويهلكون الحرث والنّسل . إنّ خروج يأجوج ومأجوج من علامات اقتراب الوعد الحقّ بقيام السّاعة ويكون ذلك حينما ينزل عيسى عليه السّلام ويأمره الله تعالى بالانحياز بالمسلمين إلى الطّور عن طريق يأجوج

---

(١) الآية -٩٧

(٢) الآيات ١٢٤-١٢٦

(٣) قصة ذي القرنين في سورة الكهف الآيات ٨٣-٩٩

ومأجوج. ويدعو عيسى عليه السّلام والمسلمون على يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض ويستجيب عزّ وجلّ الدّعاء ويهلك يأجوج ومأجوج ويطهّر عزّ وجلّ الأرض بالمطر من جيف القوم وتعود الأرض إلى سابق عهدها وفجأةً تقوم السّاعة كما جاء في الأحاديث الصّحاح الشّريفة. وحينما تقوم السّاعة إذا أبصار الكافرين شاخصةٌ لاتطرف لهول الموقف ويقولون ياويلنا وياهلاكنا قد كنّا في الدّنيا في غفلةٍ من هذا الموقف العصيب والمشهد المهيب بل كنّا في الحقّيقة ظالمين بصرف العبادة عن الله تعالى إلى من لايستحقّها.

ولما كان كلّ ذلك لايفيد القوم فإنّهم يساقون إلى جهنّم ويقال لهم إنّكم وما تعبدون من دون الله تعالى وقود النّار وحطب جهنّم أنتم جميعاً لها واردون وفيها داخلون. ويقال للقوم كذلك : لو كان هؤلاء المعبودون آلهةً على الحقيقة ما دخلوا نار جهنم وما كانوا وقودها. إنّ كلاً من العابدين والمعبودين خالدون في النار.

روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال : كلّ من أحبّ أنّ يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنّهم إنّما يعبدون الشّيطان ومن أمرهم بعبادته (١) إنّ للعابدين والمعبودين زفيراً متواصلاً وخروج نَفَسٍ دائماً دليلاً على البلاء الأكيد الّذي هم فيه. ومعروفٌ أنّ الزّفير وهو خروج النّفس بصعوبة دليلٌ على الشّهيق ، وهو دخول النفّس بمشقّة ، وأنّ في ذكر الزّفير ذكراً ضمنيّاً للشّهيق ووراء الزّفير والشّهيق المتلاحقّين هم لايسمعون في النّار أيّ شيء لشدّة غليانها وقوّة فورانها.

أمّا الّذين سبقت لهم من الله تعالى السّعادة بدخول الجنّة فإنّهم مبعدون عن النّار . إنّهم لايسمعون صوتها ، وفي المقابل هم فيما اشتهت أنفسهم خالدون في الجنّة الّتي فيها مالا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما جاء في الحديث الشّريف. وهم لايحزنهم الفزع الاكبر والصّيحة الآخرة الّتي تحيى بإذن الله تعالى الخلائق للحساب والجزاء، وتتلقّاهم الملائكة بالسّلام وتستقبلهم بالترحاب وتقول لهم هذا يومكم الّذي كنتم توعدون بدخول الجنّة.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٩

وفي يوم القيامة يطوى الله تعالى السّماء كطيّ الصّحيفة على المكتوب فيها ، وتبدّل الأرض غير الأرض ، والسّماء غير السّماء، وكما بدأ الله تعالى أوّل خلق وعلى غير مثال سابق يعيده خلقا آخر جديدا. إنّ هذا وعد من الله تعالى مفعول. إنه عزّ وجلّ كان فعّالاً قديرا.

ولـمّا كان ربّ العزّة لم يخلقنا عبثاً ولكنّا نرجع إليه يوم القيامة ليحاسبنا ويجازينا فإنّه عزّ وجلّ الّذي أرسل رسله وأنزل كتبه قد ختم رسله بخيرهم وأشرفهم وختم كتبه بأشرفها وأشملها.

وثمّة قضايا غير قابلة للنّسخ في سائر الشّرائع من لدن آدم عليه السّلام إلى أن يرث عزّ وجلّ الأرض ومن عليها. ومن هذه القضايا أنّ ربّ العزّة قد كتب في كلّ الكتب السّماويّة وفيها صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى وقرآن محمّد صلّى الله عليهم وسلّم أجمعين ، قد كتب في كلّ الكتب السّماوية من بعد الذّكر وأمّ الكتاب واللّوح المحفوظ أنّ الأرض يرثها عباد الله تعالى الصّالحون. وهي تشمل أرض الدّنيا بما في ذلك أرض الكفّار الّتي ينقصها الله تعالى من أطرافها لصالح المسلمين ، كما تشمل أرض الجنّة. إنّ على عباد الله تعالى الصّالحين أنّ يحسنوا العمل لأولاهم وأخراهم لأنّهم المهيّئون المرشّحون لذلك والمعانون عليه بإذن الله تعالى.

وحينما لاتكون للمسلمين الكلمة الأولى في الأولى يكون ذلك دليلاً على تقصيرهم في جنب الله تعالى وعدم امتثالهم لتعاليم دينهم الحنيف الّذي يريد منهم أنّ يكونوا على وعي بأنّ العزّة لله تعالى ولرسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم وللمؤمنين ، وأن يعملوا من أجل ذلك. إنّ في هذا البيان لبلاغاً بليغاً وكافياً وشافيا لقوم يعبدون الله تعالى وحده لاشريك له.

وبعد الإشارة العامة إلى المرسلين الّذين أنّزل الله تعالى عليهم الذّكر والموعظة وفيهم خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين الّذي أنزل الله تعالى عليه القرآن الكريم الّذي فيه شرف أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وعلى جميع المرسلين

والنّبيّين يخصّ السّياق المصطفى ﷺ . إنّ الله سبّحانه وتعالى ما أرسل محمّداً ﷺ إلاّ رحمةً للعالمين ،المؤمنين وسواهم. أمّا المؤمنون فبفضل من الله تعالى ونعمة أخرجهم الله تعالى من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم. وأمّا غير المؤمنين فبفضل من الله تعالى ونعمة يمكن أنّ يخرجوا، بهذا الرّسول الكريم الّذي أنّزل الله تعالى عليه النّور المبين من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم كذلك.

ويظلّ كفّار مكةّ ومن شاكلهم يصرّون على كفرهم وعنادهم واستهزائهم. ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام أنّ يقول لهم : إنّما يوحَى إليَّ من ربّ العالمين أنّما إلهكم إلهٌ واحدٌ فهل أنتم مسلمون لله تعالى منقادون له عزّ وجلّ. والمعنى أسلموا لله تعالى. فإن أصرّ يامحمّد أولئك الكافرون على الإعراض فقل أعلنتكم وأعلمتكم بأنّ بعضنا لبعض عدوّ حتّى يستوى علمنا وعلمكم بهذا الاعلان على رؤوس الاشهاد كيلا يُنْسَب الغدر إلى المسلمين ويوصفوا بعدم الوفاء للآخرين من غير المسلمين. إنّ الفعّال في الأمور كلّها هو الله تعالى بما في ذلك إنزال العذاب على مستحقّيه ولهذا يؤمر عليه الصّلاة والسّلام أنّ يقول: وما أدري أقريبٌ أم بعيدٌ ما توعدون من العذاب . إنّ الله تعالى يعلم ما تجهرون من القول وما تكتمون ياكفّار مكّة ويا أيها الكافرون . وبشأن المتاع الرّخيص الّذي أنتم فيه بسبب تأخير العذاب عنكم أنا ما أدري حكمة الحكيم الخبير وراءها فلعلّ إمهالكم فتنة من الله تعالى واختبار لكم أتشكرون أم تكفرون ، أتعودون إلى جادّة الصواب أم تستمرّون مصرّين على عنادكم. ولعلّ هذا النّعيم الّذي أنتم فيه الآن متاع لكم إلى حين توفّى الله تعالى لكم.

وتختتم السّورة الكريمة بدعاء الرّسول ﷺ ربّه عزّ وجلّ أنّ يحكم بالحقّ ويقضي بالعدل بينه وبين القوم الكافرين . إنّ الله تعالى الّذي خلق الخلق وربّاه بنعمة هو رحمن الدّنيا والآخرة الّذي يستعان به وحده عزّ وجلّ على ما يقول الكافرون من كذب على الله تعالى ، وما يلحقون به عزّ وجلّ من صفاتٍ لاتليق به جلّ وعلا.

ثانياً
سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ
﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي
رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ
وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى
ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ
فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟
فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ
وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟
أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ
وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾
وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى
شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟
مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟
ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن
يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟
ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ
﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ
ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ
فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ
ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ
فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟
لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ ۖ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ ۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ
وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟
رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

بين يدي التّفسير

(١)

(على النّاس جميعاً أن يتّقوا ربّهم ويؤمنوا بالبعث ويعملوا من أجله)

الآيات (١-١٣)

تبدأ السّورة المدنيّة الكريمة بأمر النّاس جميعاً بتقوى الله تعالى ، ثمّ تقرّر أنّ زلزلة السّاعة ، والحركة الشّديدة للأرض بسببها ، شيءٌ عظيم ، وأمرٌ فظيع . يوم يرى النّاس تلك الزّلزلة تترك كلّ والدةٍ مرضعة طفلها وتهمله وتلقي به من حِجْرها وإن كان في تلك اللّحظة يتناول اللبنَ من ثديها ، وكذلك تضع كلّ ذات حمل حملها لهول المفاجأة ، وترى النّاس سكارى من الفزع والهلع ، وما هم بسكارى على الحقيقة بشرب الخمر ، ولكنّ عذاب الله تعالى شديد وأخذه أكيد.

ولـمّا كان النّاس المعرضون عن الحقّ أصنافاً ، وكان الغوغاء والعامّة والتّابعون الّذين عطّلوا عقولهم أكثر تلك الأصناف عدداً ، فإنّ السّياق يتحدث ابتداءً عن هذا الصّنف فيقرّر أنّ من النّاس فريقاً يجادل في دين الله تعالى ويتكلّم بغير علم صحيح ، ويتّبع كلّ شيطان خالي الوفاض من كلّ خير ممتلىءٍ بكلّ شرّ. لقد كتب الله تعالى على هذا الشّيطان المريد أنّ من اتّبعه واتّخذه وليّاً من دون الله تعالى فأنّه يضلّ من اتّبعه عن سواء السّبيل ويصرفه عن الصّراط المستقيم ويسوقه يوم القيامة إلى نار جهنم وعذاب السّعير.

ولـمّا كان الكافرون لايستطيعون ان يدركوا القدرة المطلقة للذّات العليّة وبالتّالي هم لايؤمنون بالبعث فإنّ السّياق يقدّم الدّليل على تلك القدرة المطلقة للذّاتّ العليّة القادرة على كلّ شيء . إنّ السّياق ينادي النّاس وفيهم المتّبعون للشياطين المردة ويقول لهم : إن كنتم في شك من البعث ومن قدرتنا على إعادة الخلق يوم القيامة فلا تنسوا أنّا نحن الّذين خلقناكم أوّل مرّة. وما دمنا خلقناكم أوّل مرّة فنحن قادرون على خلقكم مرّةً أخرى. إنّ عمليتي الخلق سواءٌ في حقّ

الذّات العليّة ، علماً بأنّكم موقنون بأنّ إعادة العمل في حقّكم أسهل من قيامكم به أوّل مرّة . إنّ عليكم أنّ توقنوا بالقدرة المطلقة للذّات العلية ، وها هو ذا الدّليل على قدرتنا المطلقة نقدّمه لكم كي يزول شككم في البعث. إنّا قد خلقناكم أوّل مرّة في شخص أبيكم آدم الّذي خلقناه من طين. أمّا ذرّية آدم فإنّا خلقناها من نطفةٍ يقذفها الذّكر في قرارٍ مكينٍ هو رحم الأنثى وبقدرتنا تتحوّل النّطفة علقةً أي قطعةَ دمٍ جامد ، ثمّ تتحوّل العلقة مضغةً أي قطعة لحمٍ كأنّها قد مضغتها الأسنان ولاكتها . وهذه المضغة تتخلّق حينما يريد الله تعالى لها أن تبقى في الرّحم ولاتتخلّق حينما يريد الله تعالى لها ألاّ تبقى في الرّحم . إنّا نفعل كلّ ذلك لنبيّن لكم شيئا من قدرتنا. وبشأن تلك المضغة الّتي تتخلّق نحن نقرّها في الأرحام إذا شئنا إلى أجلٍ مسمّى ، ثمّ نخرجكم من بطون أمّهاتكم طفلاً لاتعلمون شيئاً، ثمّ نبقيكم أحياء إذا شئنا لتبلغوا أشدّكم ومنتهى قوّتكم الجسميّة والعقليّة. ومنكم من يتوفى بإرادتنا قبل ذلك ، ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر وأخسّه حتّى لايعلم الإنسان من بعد علمٍ شيئاً فيعود الإنسان لايعلم شيئاً ، ولايقوى على شيءٍ ، كما كان حينما أخرجناه من بطن أمّه.

ويقدّم السّياق دليلاً قريب التّناول على القدرة المطلقة للذّات العليةّ على إحياء الموتى . إنّ هذا الدّليل هو الأرض الّتي يراها كلّ إنسانٍ هامدةً وميتة. فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزّت بالنّبات ونمت وأنبتت من كلّ نوع يملأ النّفس بهجة . إنّ كلّ هذا التّبيين من أجل أن توقنوا بأنّ الله تعالى هو وحده الحقّ وأنّه هو وحده الّذي يحيى الموتى ، وأنّه هو وحده على كلّ شيء قدير ، وبأنّ السّاعة آتيةٌ لاشكّ فيها ، وبأنّ الله تعالى يبعث من في القبور للحساب والجزاء.

ومن النّاس فريقٌ يجادل في دين الله تعالى بغير علمٍ صحيح، ولاهدى من الله تعالى ، ولا كتابٍ منيرٍ يهدى للطّريقة الّتي هي أقوم. إنّه يلوي جانبه ويثني عنقه ويعرض عن الحقّ ويجمع بين الكفر وصدّ الآخرين عن سواء السبيل . إنّ

لهذا الضّالّ المضلّ خزياً في الدّنيا وذلاً ، وسوف يذيقه الله تعالى يوم القيامة عذاب الحريق في نار جهنم. ذلك الجزاء العادل والعقاب الأليم بسبب ما عمل من سوءٍ في الحياة الدّنيا واقترفته يداه ، وبسبب أنّ الله تعالى ليس بظلاّمٍ للعبيد بحذف حسنة أو إضافة سيّئة.

ومن النّاس فريقٌ شاكٌّ منافقٌ يعبد الله تعالى على حرفٍ وحافّة بين الإيمان والكفر ، فإن أصابه خيرٌ ونعمة اطمأنّ به وبقى على إيمانه . وإن أصابته فتنةٌ وشرّ انقلب على وجهه وعاد إلى الكفر وارتدّ عن الإيمان . لقد خسر الدّنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين الّذي لاخسران وراءه . إنّه يعبد من دون الله تعالى مالا يضرّه لو هجره ومالا ينفعه لو عبده لعجزه. ذلك هو الضّلال الأكيد . إنّه يعبد من ضَرُّه الأكيد أقرب من نفعه. لبئس ذلك الوليّ والنّاصر ، ولبئس ذلك المعاشر والصّاحب.

(٢)

(للمؤمنين الـمّتقين جنّات النّعيم ، وللكافرين الصّادّين عن سبيل الله تعالى عذابٌ أليم)

الآيات (١٤-٢٥)

بيّنت آيات القسم السّابق الفئات الّتي ينقسم إليها النّاس الذين ينبغي عليهم أنْ يعودوا إلى الجادّة ويسيروا في الطّريق المستقيم كي ينالوا مرتبة التّقوى. ولـمّا كان النّاس عموماً فريقين، مؤمنين متّقين وكافرين صادّين عن سبيل الله تعالى ، فقد كان الحديث في هذا القسم التّالي عن ثواب المؤمنين وعذاب الكافرين. يقرّر السّياق أنّ الله تعالى يدخل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات جنّاتٍ تجري من تحت

أشجارها وقصورها الأنهار. إنّ الله تعالى يفعل ما يريد ومن ذلك أنّ يثيب المؤمنين ويخزي الكافرين ويعذّبهم. ومن مظاهر خزي الكافرين في الدّنيا أنّ من كان يظنّ من النّاس أنّ الله تعالى لن ينصر حبيبه محمّداً ﷺ في الدّنيا والآخرة فليمت بغيظه وكمده وليمدد بحبلٍ إلى سقف بيته وليطوّق بالحبل عنقه وليخنق نَفْسَه وليقطع نَفَسَه حتّى يموت فلينظر هل أذهب هذا الكيد غيظه ، وهل شفى هذا الانتحار كمده ، والجواب بالنفي. فليمت كلّ حاسدٍ وحاقدٍ بغيظه فإنّ الله تعالى ناصر رسولَه ودينَه. وهكذا أنزل الله تعالى القرآن الكريم آياتٍ بينات ، وأنّ الله تعالى يهدي من يريد هدايته إلى سواء السّبيل. ولـمّا كان دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به محمّداً ﷺ ناسخاً لسائر الأديان ، وفي مقدّمتها السّماويّة منها ، فإنّ الآية الكريمة بعد ذلك ، والّتي تسمّى آية الفصل ، تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى سوف يفصل بين أهل دين الاسلام من ناحيةٍ وبين سواهم من ناحية أخرى، وهم اليهود ، والصّابئة وهم فرقة من أهل الكتاب، والنّصارى ، والمجوس ، والّذين أشركوا . إنّ الله سبحانه وتعالى على كلّ شيءٍ شهيد ، فلا يخفى عليه عزّ وجلّ شيءٌ في الأرض ولا في السّماء. ولايكاد ينتهي العجب حينما يتبيّن أنّ من في السّماوات والأرض والشّمس والقمر والنّجوم والجبال والشّجر والدّوابّ تسجد لله تعالى بطريقتها ، أمّا النّاس الّذين يعقلون والّذين خلقهم الله تعالى كي يفردوه عزّ وجلّ بالعبادة فإنّ منهم من يسجد لله تعالى منهم من يأبى ، ومنهم من يؤمن ومنهم من يكفر. وإذا كان من نصيب المؤمنين العزّةُ في الأولى والآخرة فإنّ من نصيب الكافرين الإهانةَ في الاولى والآخرة : ﴿ومن يهن اللهُ فما له من مكرم . إنّ الله يفعل من يشاء﴾ يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء . لارادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه جلّ وعلا.

وبشأن الفريقين اللّذين اختصما في دين الله تعالى من المؤمنين والكافرين، للمؤمنين ثوابهم وللكافرين عذابهم . إنّ الّذين كفروا قطّعت لهم بمقدار أجسادهم ثيابٌ من نار يصبُّ من فوق رؤوسهم الماء الشّديد الغليان الّذي يذيب شحومهم

التي في بطونهم ويحرق جلودهم. ولهم سياطٌ معقوفة الرّؤوس من حديدٍ يُضْرَبون بها ويُسْحبون ، وكلّما أرادوا أنّ يخرجوا من النّار بسبب ما ملأ صدورهم من غمٍّ أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق.

أمّا المؤمنون الّذين عملوا الصّالحات فإنّ الله تعالى يدخلهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب في أيديهم ومن لؤلؤ. ولباسهم في الجنّة الحرير الّذي كان محرّماً على الرّجال في الدّنيا. وقد هدى الله تعالى أولئك المؤمنين في الدّنيا إلى الطّيّب من القول بشهادة ألاّ إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ، كما هداهم إلى صراط الله تعالى المحمود دائماً بأنّ طبّقوا معنى الشّهادتين فقاموا بصالح الاعمال. أمّا الّذين كفروا وصدّوا النّاس عن دين الله تعالى وصدّوا المؤمنين عن المسجد الحرام الّذي جعله تعالى للنّاس أجمعين ، يستوي في الحقّوق والواجبات تجاهه أهل مكّة وسواهم فإنّ لهم عذابًا أليمًا. ومن يرد في المسجد الحرام ميلاً عن العدل إلى الظّلم قصداً في أيّ صور الظّلم وإنّ كانت هينة، يذقه الله تعالى من عذابه الأليم، فكيف بمن يمارس الظلم فعلاً في البلد الحرام ولاحول ولاقوّة إلاّ بالله تعالى العليّ العظيم. ويأتي كفّار قريش على رأس الظّالمين في البلد الحرام بسبب كفرهم وصدّهم عن سبيل الله تعالى وعن المسجد الحرام.

(٣)

(الأمر بالحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام والنّهي عن الشّرك)

الآيات (٢٦-٣٧)

لايكاد العجب ينتهي من كفّار مكّة سدنة البيت الحرام ، أوّل بيتٍ وضعه الله تعالى في الأرض لعبادته عزّ وجلّ لاشريك له ، والبيت الّذي بيّن الله تعالى لإبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء موضعَه وأمره أن ينادي في النّاس بالحجّ إليه

وإفراد الله تعالى بالعبادة عنده . إنّ كفّار مكّة وقفوا من محمّد بن عبدالله ﷺ الّذي بعثه الله تعالى بالنّسخة الكاملة والصّورة الصّحيحة لحنيفيّة إبراهيم عليه السّلام موقفاً مضاداً للمطلوب منهم . ومن الأمور الدّينيّة الّتي تحدّثت عنها السّورة الكريمة ممّا له علاقة بحنيفيّة إبراهيم عليه السّلام الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام الّذي يعتبر الرّكن الخامس من أركان الاسلام الّذي بعث الله تعالى به محمّداً ﷺ. وإنّ كلّ المعاني المتعلّقة بالحجّ الّتي تحدّثت عنها السّورة الكريمة في أثناء الحديث عن إبراهيم عليه السّلام هي ممّا ورثه محمّد بن عبدالله ﷺ من حنيفيّة إبراهيم عليه السّلام الّذي أوحى الله تعالى إلى محمّد بن عبدالله ﷺ بأنّ يتّبع ملّته عليه السّلام . إنّ كلّ الأوامر والنّواهي المتعلّقة بالحجّ على عهد إبراهيم عليه السّلام أوامرُ ونواهٍ لأمّة محمّد بن عبدالله ﷺ. وإذا كان الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام يكاد يكونُ أوضح الأمور الدّينية الّتي احتفظ بها العربّ قبل الإسلام من حنيفيّة إبراهيم عليه السّلام فإنّهم قد أدخلوا في الحجّ ما ليس منه وأخرجوا منه ما هو من صميمه . ولقبيلة قريش سكّان الحرم. إسهام في الانحراف بالحجّ عن رسالته وصورته . إنّ هدف الحجّ تأكيد التّوحيد وقد أشرك سكّان الحرم وإنّ من الانحرافات المتعلّقة بالصّورة إفاضة قريش من المزدلفة وليس من عرفات خلافاً لإبراهيم عليه السّلام وسائر النّاس. وهكذا تتراكم انحرافات سكّان الحرم تجاه الحنيفيّة في صورتها الأولى على عهد إبراهيم عليه السّلام وصورتها الأخيرة الّتي بعث الله تعالى بها محمّد بن عبدالله ﷺ.

إنّ السّياق يخاطب المصطفى ﷺ ويقول له : واذكر يامحمّد للناس عموماً لسكّان الحرم خصوصاً حين بيّنّا لإبراهيم عليه السّلام وعيّنّا مكان البيت العتيق في مكّة المكرمة وأمرناه ألاّ تشرك بي شيئاً وطهّر بيتي العتيق والمسجد الحرام للطّائفين بالبيت العتيق والقائمين في صلاتهم عنده والرّكّع السجود في صلوات الفرض والنفل. وأمرنا إبراهيم عليه السّلام بأنّ يؤذّن في النّاس جميعاً بالحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام وأخبرناه بأنّ الّذين كتبنا لهم الحجّ سوف يأتون إلى يوم الدّين للحجّ

مشاة على أرجلهم وركباناً على كلّ بعير مهزول خفيف اللّحم بسبب المكان البعيد الّذي أتى منه والفجّ الواسع الّذي سلكه . ويلحق بكلّ بعير ضامرٍ قديما كلّ وسائل المواصلات حديثاً وما سوف يستعمل لاحقاً بإذن الله تعالى. ويعيّن السّياق من حكم الحجّ المنافع الّتي يشهدها الحاجّ وهي دينية ، ودنيويّة كالتّجارة ، وذكر اسم الله تعالى ذكراً كثيراً في أيّامٍ معلوماتٍ هي أيّام عشر ذي الحجّة في رأي فريقٍ من العلماء على ما رزقهم عزّ وجلّ من بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم الّتي يهدون منها إلى البيت العتيق . إنّ من حقّهم بعد ذبح الهدي أو نحره أن يأكلوا منه إنّ شاءوا ، وإنّ عليهم أنّ يطعموا منه البائس الّذي به ضرّ الجوع والحاجة ، والفقير الّذي لاشيء له.

وبعد رمي جمرة العقبة في منى يوم النّحر عليهم أنّ يقضوا تفثهم ويزيلوا أوساخهم ويحلقوا أو يقصرّوا شعرهم ويقصّوا أظافرهم وما إلى ذلك ، وعليهم أنّ يوفوا نذورهم ، وعليهم أنّ يطّوّفوا بالبيت العتيق. وهذا الطّواف يُسمّى طواف الإفاضة ، أي الإفاضة من عرفات والمشاعر ، وطواف الزّيارة ، أي زيارة البيت الحرام ، وطواف الرّكن ، لأنّه أحد أركان الحجّ الّتي يفسد الحجّ بترك أيّ واحدٍ منها قصداً أو اتّفاقا.

الشّأن ذلك الّذي هدانا الله تعالى إليه. ومن يعظّم حرمات الله تعالى في الحجّ بفعل الأوامر واجتناب النّواهي فإنّ ذلك التعظيم خيرٌ للحاجّ عند ربّه عزّ وجلّ في الأولى والآخرة . وقد أحلّ الله سبحانه وتعالى لنا الأنعام من إبلٍ وبقرٍ وغنم إلاّ ما يتلى علينا في الكتاب العزيز فيجب علينا اجتنابه وذلك الميتة والدّم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنّطيحة وما أكلّ السّبع وما ذبح على النُّصبُ ، كما يجب علينا اجتناب القذر من الأوثان واجتناب قول الزّور وشهادة الزُّور، ويأتي الشّرك على رأس قائمة الإدلاء بشهادة الزُّور. إنّ علينا أن نكون مخلصين العبادة لله تعالى وحده لاشريك له ، غير مشركين به عزّ وجلّ سواه ، مائلين عن الشرك عمداً ، متّجهين إلى التّوحيد قصدا . إنّ الّذي

يشرك بالله تعالى سواه فكأنّما سقط من السّماء فتخطفه الطّير في الهواء وتمزّقه كلّ ممزّق ، أو تهوى به الرّيح وترمي في مكانٍ سحيقٍ وموضعٍ بعيد.

الشّأن ذلك الّذي هدانا الله تعالى إليه. ومن يعظّم شعائر الله تعالى وما تعبّدنا به عزّ وجلّ من مناسك الحجّ ومنها ما يُنْحر ويذبح من الهدي والأضاحي فإنّ تعظيمها دليلٌ على التّقوى الّتي استقرّت في القلوب وتمكّنت منها . إنّ لنا في الهدايا والبدن منافع إلى أجلٍ مسمًّى هو وقت نحرها ، ومن تلك المنافع ركوب البدنة ، ثمّ المكان الّذي يحلّ نحرها فيه أرض الحرم كلّها.

وقد جعل الله تعالى لكلّ أمّة مؤمنة سابقة مكانا يحجّون إليه وينحرون ويذبحون فيه الأنعام ويذكرون اسم الله تعالى عليها عند ذبحها، ويشكرون لله تعالى نعمه العظمية عليهم بما رزقهم من بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم. إنّ إلهنا إلهٌ واحد. وإنّ علينا أن نُسْلم ونخضع لله تعالى . ويبشّر الحقّ جلّ وعلا بالخير العميم في الأولى والآخرة المخبتين الخاشعين المتواضعين المطمئنّين الطّائعين . إنّهم الّذين إذا ذكر الله تعالى خافت قلوبهم خشيةً من الله تعالى ، والصّابرون على ما أصابهم ، والمقيمو الصّلاة فرضا ونفلاً ، والمنفقون ممّا رزقهم الله تعالى من الحلال الطّيب.

وقد جعل الله تعالى من علامات دينه وشعائر الحجّ البدن ، وهي السّمان من النّياق والإبل والبقر. وإنّ لنا فيها خيراً في الدّنيا والآخرة ومنافع. وحثًّا للنّاس على أنّ يهدوا الأفضل، يتحدّث السّياق عن النّياق والإبل الّتي تُهْدىَ باعتبارها الأكثر نفعاً للعباد وثواباً من ربّ العباد جلّ وعلا لمن أراد بها وجه الله تعالى.

إنّ علينا أن نذكر اسم الله تعالى عليها عند نحرنا لها وهي واقفةٌ على ثلاث معقولة اليد اليسرى (١) مستقبلةً القبلة. فإذا سقطت على جنوبها وماتت بعد نحرها فكلّوا منها إن شئتم وأطعموا القانع الّذي يرضى بما يُعْطَى وبما عنده

---

(١) انظر - مثلاً - تفسير ابن كثير ٣/ ٢٢٢

ولايسأل ، وأطعموا المعترّ الّذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللّحم ولايسأل ، ويدخل مَنْ يَسْأَل أنّ يُعْطى من اللّحم بطبيعة الحال ضمن من يُطْعَمون. وهكذا سخّر الله تعالى لنا بهيمة الأنعام لنشكر لله تعالى نعمه وآلاءه علينا.

ويقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة والجلال لن يناله لحوم الأنعام التى تُهْدىَ ولا دماؤها ولكن يناله عزّ وجلّ تقوى العباد له جلّ وعلا. والتّقوى الوجه الآخر للإحسان بأنّ تعبد الله تعالى كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك. وهكذا سخّر الله تعالى لنا بهمية الأنعام لنكبّر الله تعالى عند ذبحها على اسم الله تعالى وفي كلّ مناسبة على ما هدانا إلى معالم دينه عزّ وجلّ. ويؤمر المصطفى ﷺ بأنّ يبشّر المحسنين بخيري الدّنيا والآخرة.

(٤)

(الإذن بالقتال ، والتّسلية للنّبيّ ﷺ والمؤمنين ، وإنذار الكافرين ، وتبشير المؤمنين).

الآيات (٣٨-٥١)

بعد حديث الآيات الكريمات عن الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام ، الجهاد الّذي لاشوكة فيه ، يتحوّل الحديث إلى الجهاد في سبيل الله تعالى ذي الشّوكة . إنّ السّياق يقرّر أنّ ربّ العزّة والجلال يدافع عن الّذين آمنوا ، إنّ الله تعالى لايحبّ كلّ خوّانٍ شديد الكفر بالله والكفران للنّعم ، أساء فهم إمهال الله تعالى له فاستمرأ الخيانة والكفر حتّى صار خوّاناً كفوراً فأخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر. ومن مظاهر دفاع الله تعالى عن الّذين آمنوا أن أذن الله تعالى لهم بالدّفاع عن أنفسهم ، فبعد أن كان ثّمة نهي للمؤمنين عن القتال طوال الفترة المكّيّة يؤذن

لهم بعد الهجرة بالدّفاع عن أنفسهم وقتال المشركين ، وبهذا نكون أمام أوّل آية كريمة في الإذن للمؤمنين بالقتال. والمعنى: أذن الله تعالى للمؤمنين الّذين يقاتلونَ أن يقاتلوا المشركين بسبب أنّهم ظلموا ، وإنّ الله تعالى لقديرٌ على نصرهم بدون قتال ، ولكنّ الله تعالى له الحكمة البالغة ، فقد اشترى عزّ وجلّ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة. وهؤلاء المؤمنون ظلمهم المشركون بأن أخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حقّ بل لأنّهم يقولون : ربّنا الله تعالى وحده لاشريك له. وهكذا يكسر الله تعالى دائما وأبدا شوكة الكافرين. ولولا دفع الله تعالى المشركين بالمؤمنين لهدّمت صوامع رهبان النّصارى ، وكنائس عامّتهم، ومعابد اليهود ، ومساجد المسلمين، البيوت الّتي أذن الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسم الله تعالى كثيراً.

ويعد الله تعالى بالنّصر من ينصر دينه ، إنّه عزّ وجلّ لقويّ عزيز. وهؤلاء الّذين ينصرون دين الله تعالى بالنّفس والنّفيس هم الّذين إن مكّنهم الله تعالى في الأرض أقاموا الصّلاة ، وآتوا الزّكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله تعالى عاقبة أمور الخلق أجمعين ، بثواب المؤمنين يوم القيامة وعقاب الكافرين.

وتكون تسلية المصطفى ﷺ بصورة أشدّ وضوحاً حينما يخاطب السّياق المصطفى ﷺ ويقول له : وإن يكذبك يامحمّد قومك فقد كذّبت قبلهم قوم نوحٍ عليه السّلام وعاد قوم هودٍ عليه السّلام ، وثمود قوم صالحٍ عليه السّلام ، وقوم إبراهيم عليه السّلام ، وقوم لوطٍ ابن أخى ابراهيم عليهما السّلام، وقوم شعيبٍ عليه السّلام ، وقبط مصر الّذين كذبوا موسى صهر شعيبٍ عليهما السّلام. لقد أمهل الله تعالى المكذّبين ثمّ أخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر ، فما أكثر القرى الّتي أهلك الله تعالى أهلها الظّالمين فهي خالية ساقطة حوائطها على سُقُفها ، وما أكثر الآبار المعطلة والقصور الخربة. لقد كان الأَوْلى بالمشركين الّذين يسيرون في الأرض ويرون تلك الأطلال ان يعتبروا فتكون لهم القلوب الّتي يعقلون بها ، والآذان الّتي

يسمعون بها سماع وعي وتدبّر ولكنّ القوم عميُ البصائر عمي القلوب الّتي في الصدور لأنّ لهم أعيناً لكن لايبصرون بها وآذاناً لكن لايسمعون بها.

ولايكاد العجب ينتهي من المشركين حينما يستعجلون المصطفى ﷺ وقوع العذاب بهم غباءً منهم واستهزاءً . إنّ الله سبحانه وتعالى لن يخلف وعده وإنّ هؤلاء المستعجلين للعذاب عليهم أن يعلموا بأنّ حظّهم موفور منه ، إن لم يكن في الدّنيا ففي الآخرة ﴿ وإنّ يوماً عند ربّك كألف سنة مما تعدّون﴾ إن على المشركين أنّ يفهموا إمهال الله تعالى لهم على حقيقته ، فما أكثر القرى الّتي أمهلها الله تعالى وهي ظالمة ثمّ أخذها أخذ عزيزٍ مقتدر ، وإلى الله تعالى مصير الخلائق أجمعين.

ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن يقول للنّاس جميعاً بقصد أن يفيقوا من غفلتهم: يا أيّها النّاس إنّما أنا لكم نذيرٌ مبين في إنذاري لكم ، أمّا حسابكم فعلى الله تعالى. فالّذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصّالحات بجوارحهم لهم مغفرةٌ لذنوبهم ، ورزقٌ حسنٌ في جنّات النّعيم. والّذين اجتهدوا في إبطال آيات الله تعالى معاندين ظانّين أنّهم يفوتون الله تعالى أولئك أصحاب الجحيم وأهل النّار.

(٥)

(ينسخ الله تعالى القادر على كلّ شيء ما يلقى الشيطان ويثبت آياته البينات ويثيب المؤمنين ويعاقب الكافرين).

الآيات (٥٢-٦٦)

استمراراً لتسلية المصطفى ﷺ وتثبيت فؤاده عليه الصّلاة والسّلام يخاطب السّياق المصطفى ﷺ ويقول له : وما أرسلنا من قبلك يامحمّد من رسول ولانبيّ إلاّ إذا تمنى النّصر العاجل على الكافرين ودخول النّاس في دين الله تعالى أفواجاً،

واندحار الشّرك والمشركين ، ألقى الشّيطان الرّجيم في أمنيّته ، بقصد أنّ يتسلّل اليأس من رَوْح الله تعالى إلى النّفوس ، ويثبّط من الهمم ، فيبطل الله تعالى ما يلقى الشّيطان الرّجيم ، ثمّ يثبّت الله تعالى آياته البيّنات الّتي تترى ، ويجيء النّصر المبين في موعده الّذي أراده له الله تعالى العليم الحكيم . ليجعل عزّ وجلّ ما يلقى الشيطان من وساوس فتنةً وابتلاءً للّذين في قلوبهم مرض النّفاق والقاسية قلوبهم من المشركين ، وإنّ الكافرين لفي انحراف بعيدٍ عن الطّريق القويم ، وليعلم الّذين آتاهم الله تعالى علماً لدنّيّاً أنّ القرآنَ الكريم موحىً به من ربّك يامحمّد فيؤمنوا به وتطمئنّ له قلوبهم وتخضع وتخشع .

وإنّ الله تعالى لهادي الّذين آمنوا إلى الصّراط المستقيم الموصل إلى الجنّة بفضل الله تعالى . ولايزال الّذين كفروا في شكٍّ من القرآن الكريم حتّى تأتيهم السّاعة فجأةً أو يأيتهم عذاب يوم القيامة العقيم من الخير في حقّ الكافرين . في ذلك اليوم الملك لله تعالى وحده لاشريك له ، يحكم بين المؤمنين والكافرين . فالّذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصّالحات بجوارحهم في جنّات النّعيم . والّذين كفروا وكذّبوا بآيات الله تعالى فأولئك لهم عذابٌ مهينٌ أليم في جهنّم . والّذين هاجروا في سبيل الله تعالى ثمّ قتلوا في ميدان المعركة أو ماتوا حتف أنوفهم ليرزقنّهم الله تعالى رزقاً حسناً في الجنّة . وإنّ الله تعالى لهو خير الرّازقين . ليدخلنّهم الله تعالى مُدْخلا يرضونه هو الجنّة . وإنّ الله تعالى لعليمٌ بالنّوايا والأقوال والأفعال ، حليم يمهل ولكنّه لايهمل ، الشّأنّ ذلك الذي بيّنه الله تعالى ، ومن عاقب المشركين بمثل ما عاقبوه به بسبب إيمانه ثمّ بغي عليه لينصرنّه الله تعالى . إنّه عزّ وجلّ لعفو لايؤاخذ بالذنب بعد التّوبة النّصوح وعمل الصّالحات ، غفورٌ يستر الذّنب ويبدّل السّيئة حسنة الشّأن ذلك الّذي بيّنه الحقّ جلّ وعلا دليلاً على قدرته المطلقة بسبب أنّ الله تعالى يولج اللّيل في النّهار ويولج النّهار في اللّيل ، وبسبب أنّ الله تعالى سميعٌ بصير . الشّأن ذلك الّذي بيّنه الحقّ جلّ وعلا

بسبب أنّه عزّ وجلّ هو الحقّ وأنّ ما يدعو المشركون من دونه جلّ وعلا هو الباطل وبسبب أنّ الله تعالى هو العليّ الكبير.

ألم تر يامحمّد ويأيها الإنسان أنّ الله تعالى أنزل من السّماء ماءً فتصبح الأرض مخضرّة بالنّبات. إنّ الله تعالى لطيفٌ خبير. له ما في السّماوات وما في الأرض مِلْكا وخلقاً وعبيدا ، وإنّ الله تعالى لهو الغنيّ عن خلقه، المحمود من أوليائه. ، ألم تر أنّ الله تعالى سخّر لكم أيّها النّاس كلّ ما في الأرض ، وسخّر السّفن تجري في البحر بأمره ، ويمنع بقدرته السّماء أنّ تسقط على الأرض إلاّ بإذنه.

إنّ الله تعالى بالنّاس لشديد الرّأفة والرّحمة. والله تعالى هو الّذي أحياكم أوّل مرّة ثمّ يميتكم ثم يحييكم للحساب والجزاء، الثّواب أو العقاب. إنّ جنس الإنسان لكفورٌ بالله تعالى وشديد الكفران لنعم الله تعالى لذا هو يستحقّ العقاب.

(٦)

(الأمر بالدّعوة إلى الله تعالى ، وإنذار المعرضين عن القرآن الكريم عذاب النار، وتقرير عجز الآلهة ، وحثّ المسلمين على إخلاص العبادة لله تعالى).

الآيات (٦٧-٧٨)

بعد تقرير القسم السّابق العديد من مظاهر قدرة الحقّ جلّ وعلا فعلى النّاس أنّ يفردوه عزّ وجلّ بالعبادة ، تعمّق آيات القسم الأخير من السّورة الكريمة هذه المعاني بوسائل متعدّدة. إنّ سورة الحجّ الكريمة هذه الّتي تحدّثت من قبل عن الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام وحذّرت من الشّرك ، مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن

الكريم في الكشف عن خبايا النّفس الإنسانيّة المستعدّة للانحراف عن سواء السّبيل وتحوّلها إمّعةً مع الانحراف الجمعيّ إلاّ من رحم ربّك ، إنّ سورة الحجّ الكريمة تعمّق هنا هذه المعاني السّامية. إنّ ربّ العزّة والجلال جعل لكلّ أمّةٍ أرسل لها رسولاً مكاناً ترتاده وتعتاده لإفراد الله تعالى بالعبادة، ومن ذلك ذكر اسم الله تعالى عند ذبح النّسيكة. وليس محمّد بن عبدالله ﷺ بِدْعا من الرّسل فعليه أنّ يصلّي لربّه عزّ وجلّ وينحر ويعرض عن المشركين الّذين يحثّون المؤمنين بإيحاء من الشيطان الرجيم ، على أكل الميتة ، بحجّة أنّ الله تعالى هو الّذي قتلها ، فَأَكْلُها في زعمهم خير من أكل ما ذبحوه بأيديهم. لقد تجاهل المشركون أنّ الله تعالى هو الّذي حرّم على المسلمين أكلّ الميتة وهو الّذي أذن لهم بأكل ما ذكروا اسم الله تعالى عليه عند ذبحه ممّا يحلّ أكله. إنّ على المصطفى ﷺ وعلى كلّ داعية ألاّ يلتّفت إلى أولئك النّاعقين، وأن يستمرّ على الدّعوة إلى سبيل ربّه عزّ وجلّ ، فإنّه عليه الصّلاة والسّلام على صراط مستقيم مفضٍ إلى جنّات النّعيم .

فإن جادل المشركون النّبيّ ﷺ واستمرّوا على عنادهم عليه أنّ يقول لهم : إنّ الله تعالى يعلم ما يعملون وما يعمل عليه الصّلاة والسّلام، وإنّ الله تعالى يحكم بيننا يوم القيامة فيما كنّا نختلف فيه في الدّنيا. ألم تعلم أيّها الإنسان أنّ الله تعالى يعلم كلّ ما في السّموات والأرض ، وأنّ ذلك مدوّنٌ في اللّوح المحفوظ ، وأنّ ذلك على الله يسير.

ويظلّ المشركون يعبدون من دون الله تعالى ما لم ينزّل به حجّة ، وما ليس لهم به علمٌ صحيح ، وليس لهؤلاء الظّالمين من نصيرٍ في الدّنيا والآخرة. ويصرّ الكافرون على الإعراض عن سماع القرآن الكريم لبغضهم له فإذا تُتْلَى عليهم آيات الكتاب العزيز تعرف أيّها النّاظر إليهم المنكَر في وجوههم إلى الحدّ الّذي يكادون معه يبطشون بالّذين يقرأون عليهم القرآن الكريم. قل لهم أيّها المؤمن : أفننبّئكم بما هو شرّ لكم من سماع القرآن الكريم ، هي النّار الّتي وعدها الله تعالى الّذين كفروا بئس جهنّم مصيراً. وتأكيداً لعجز الآلهة الّتي أشركها الكافرون مع

الله تعالى في العبادة يضرب السّياق للنّاس مثلاً بقصد تبيين عجز الآلهة الّتي جعلها الظّالمون أنداداً لله تعالى فأشركوها في العبادة مع الله تعالى. ومع أنّنا في الحقيقة لسنا أمام مثل مضروب وإنّما نحن أمام قولٍ بليغٍ يجري مجرى المثل على الألسنة ويحقّق الهدف السّامي من ضرب المثل وهو تقرير أحطّ دركات العجز في حقّ الآلهة ، مقابل أرفع دلائل القدرة في حقّ الذّات العليّة ، فما أحقّ هذا القول البليغ أن يجري مجرى المثل ، أنّ يطلق عليه لفظ المثل الّذي يتعلّق به حينما يُضْرَب كلّ الملابسات المحيطة به . إن المعبودين ظلماً من دون الله تعالى الحقّ لن يخلقوا مجتمعين الذّباب الشّديد الهوان والّذي تعافه كلّ نفسٍ شريفة أو وضيعة. ولايقف عجز الآلهة من زاوية الإيجاب بل يتعدّاه إلى زاوية السّلب أيضاً. إنّ هذا الذّباب الشّديد الهوان لو أنّه سلب الآلهة المزعومة شيئاً فإنّها أعجز من أن تستردّ ما أخذه الذّباب. وهب أنّ ذبابةً واحدةً سلبت المعبود أو العابد شيئاً وليكن ذلك الشّيء ذرّةً من النّشا . إنّ كلّ عباقرة الكيمياء في الدّنيا لايستطيعون بمعاملهم المتطوّرة أنّ يستعيدوا تلك الذّرّة من النّشا ، لأنّ الذّبابة تحوّل ذرّةً النّشا إلى سكّر بإذن الله تعالى ، وذلك بفعل الخمائر الهاضمة الّتي منحها الله تعالى الذّبابة ما أبلغ تذييل الآية الكريمة ﴿ضعف الطّالب والمطلوب﴾ ضعف الآلهة العاجزة الذّليلة وضعفت الذّبابة القذرة الهزيلة.

إنّ أولئك المشركين ما عظّموا الله تعالى القويّ العزيز حقّ عظمته ، وما عرفوه حقّ معرفته الّتي تُسْتَقَى من النّبع الصّحيح وحده، ألا وهو الوحي. إنّ الله تعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ، ومن النّاس رسلاً ، إنّه عزّ وجلّ سميع لكلّ قول ، بصيرٌ بكلّ شيء ، وبمن هو أهل للاصطفاء بالرّسالة. إنّ الله تعالى يعلم ما قدّم أولئك المصطفون الأخيار بين أيديهم من أعمال ، وما خلّفوه وراءهم من آثار ، وإلى الله تعالى ترجع أمور الخلائق فيثيب يوم القيامة المحسن ويعاقب المسيء.

وتبيّن السّورة الكريمة في ختامها مجموعةً من نعوت المسلمين لله تعالى ربّ العالمين. إنّ على المؤمنين بقلوبهم أن يقدّموا الدّليل على إيمانهم بالصّلاة الّتي يشار

إليها بحالتين من أهمّ هيئاتها وهما الرّكوع والسّجود ، وبعبادة الله تعالى وحده لاشريك له ، وباستباق الخيرات لعلّ الفلاح يكون نصيبهم ، وبالجهاد في دين الله تعالى حقّ الجهاد بالسّنان واللّسان والقلم. إنّ الله تعالى هو الّذي اصطفى لنا دين الإسلام واصطفانا لدين الإسلام الّذي ما جعل الله تعالى علينا فيه من ضيق ولا حرج ، وهو دين أبينا إبراهيم عليه السّلام الّذي بعث الله تعالى محمّداً ﷺ بحنيفيّته السّمحة في صورتها الأخيرة الكاملة. إنّ الله تعالى هو الّذي سمّانا المسلمين في الكتب السّماويّة السّابقة وفي هذا الكتاب العزيز الّذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

إنّ كلّ هذه النعم الّتي اصطفى الله تعالى بها أمّة محمّد ﷺ ليكون الرّسول الكريم ﷺ شهيداً علينا بأنّه بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة ، وكان لقومه الناصح الأمين، ولنكون نحن المسلمين شهداء على النّاس بأنّ رسل الله تعالى إليهم قد بلّغوا الرّسالة وأدّوا الأمانة وكانوا لقومهم النّاصحين الأمينين. إنّ واجب المسلمين لله تعالى ربّ العالمين أنّ يقوموا بما يجب عليهم من شكرٍ لله تعالى بإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة والاعتصام بحبل الله تعالى والاستمساك بدينه الّذي تتجلّى تعاليمه في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة . إنّه عزّ وجلّ نعم المولى والصّاحب ، ونعم النّصير والمعين.

التّفسير

(١)
(على النّاس جميعاً أن يّتقوا ربّهم ويؤمنوا بالبعث ويعملوا من أجله)
الآيات (١ ـ ١٣)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ
سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

يأيّها النّاس اتّقوا ربّكم: يأيّها النّاس احذروا عقاب ربّكم بطاعته فأطيعوه ولا تعصوه فإنّ عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد (١)

إنّ زلزلة السّاعة: الزّلزلة مصدر من قول القائل: زلزلت بفلان الأرض أزلزله زلزلةً وزِلزالاً بكسر الزّاي من الزّلزال، كما قال الله (٢): ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ وكذلك المصدر من كلّ سليمٍ من الأفعال إذا جاءت على فعلال فبكسر أوّله مثل: وسوس وسوسةً ووِسواساً. فإذا كان اسماً كان بفتح أوّله الزَّلزال والوَسواس (٣) والزّلزلة: الحركة الشّديدة للأرض الّتي يكون بعدها طلوع الشّمس من مغربها الّذي هو قرب السّاعة (٤) وقوله تعالى (٥): ﴿هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ أي زُعْزِعوا من الرّعب (٦).

يوم ترونها: يوم ترون أيّها النّاس زلزلة السّاعة (٧).

---

(١) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٥

(٢) سورة الزّلزلة ١

(٣) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٧

(٤) الجلالين

(٥) سورة الأحزاب ١١

(٦) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «زل» ٢١٤

(٧) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٨

تذهل: تنسى وتترك من شدّة كربها [١] والذّهول: شُغْلٌ يورث حزناً ونسيانا [٢]

كلّ مرضعة: المرضعة: الأمّ. والمرضع الّتي معها صبيٌّ ترضعه [٣]

عمّا أرضعت: أي عن رضيعها قبل فطامه[٤] أي فتشتغل لهول ما ترى عن أحبّ النّاس إليها، والّتي هي أشفق النّاس عليه تدهش عنه في حال إرضاعها له، ولهذا قال: ﴿كلّ مرضعة﴾ ولم يقل مرضع[٥]

وتضع كلّ ذات حملٍ حملها: وتسقط كلّ حامل من شدّة كرب ذلك حملها [٦] أي قبل تمامه لشدّة الهول[٧]

وترى النّاس سُكارى وما هم بسكارى: وترى النّاس يامحمّد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدّته سكارى من الفزع وما هم بسكارى من شرب الخمر[٨]

تبدأ سورة الحجّ الكريمة، وهي السّورة الكريمة الرّابعة في النّصف الآخر من المصحف الشّريف بالقول: ﴿ياأيّها النّاس﴾ وذلك على غرار ابتداء سورة النّساء، وهي السّورة الكريمة الرّابعة من المصحف الشّريف، أي في النّصف الأوّل من المصحف الشّريف، بالقول ذاته: ﴿ياأيّها النّاس﴾

وإذا كانت سورة النّساء المتقدّمة تتحدّث عن بداية الخلق، فإنّ سورة الحجّ المتأخّرة تتحدّث عن ملابسات اليوم الآخر.

---

(١) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٨

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «ذهل» ١٨٢

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢١٤

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٥

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٥

(٦) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٨

(٧) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٩

(٨) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٨

تنادي السّورة الكريمة النّاس أجمعين وتأمرهم بأن يتّقوا الله ويخشوا عذابه بطاعته وفعل الأوامر واجتناب النّواهي. وحينما يكون لفظ الرّبّ مرتبطاً بتربية الله تعالى عباده بنعمه وآلائه بعد أن خلقهم وأوجدهم من العدم يكون المطلوب من النّاس أجمعين أن يبادلوا الإحسان بالإحسان، وذلك بإفراد الله تعالى بالعبادة حتّى بلوغ مرتبة التّقوى الوجه الآخر للإحسان بأن تعبد الله تعالى كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك.

وتقرّر الآية الكريمة أنّ زلزلة السّاعة وحركة الأرض الشّديدة واضطرابها العنيف إيذاناً بيوم القيامة شيءٌ عظيم وأمرٌ خطير.

وحينما نتبيّن في حياتنا هذه أنّ الزّلازل حينما تبلغ درجةً معيّنةً لا تكاد تغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ وقد نالها الأذى، فإنّ الزّلزلة المؤذنة بقيام السّاعة ينبغي أن تكون الأدهى والأمرّ، لأنّ النّاس حينما يرونها آنذاك يفقدون صوابهم إلى الحدّ الّذي تذهل معه كلّ أمٍ مرضعةٍ عن طفلها الرّضيع الّذي يعتمد في غذائه على لبن صدرها وتتركه وتنساه وتقذف به من حجرها. أمّا أولات الأحمال فإنّهنّ يضعن على الفور حملهنّ لغير تمام بسبب شدّة الفزع من هول الموقف. أمّا النّاس فإنّك تراهم سكارى من عظيم ما حلّ بهم من كرب، وما هم بسكارى من شرب الخمر ولكنّ عذاب الله تعالى شديد، ولهذا يكون لكلّ امرىءٍ شأنٌ يغنيه ويشغله عمّن سواه.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

ومن النّاس من يجادل في الله بغير علم: ومن النّاس من يخاصم في الله فيزعم أنّ الله غير قادرٍ على إحياء من قد بلي وصار تراباً، بغير علمٍ يعلمه، بل بجهلٍ منه بما يقول(١)

ويتّبع: في قيله ذلك وجداله في الله بغير علم(٢)

كلّ شيطانٍ مريد: المارد والمريد من شياطين الجنّ والإنس المتعرّى من الخيرات، من قولهم: شجرٌ أمرد إذا تعرّى من الورق(٣)

كُتِبَ عليه: قُضي على الشّيطان(٤)

أنّه: الهاء في أنّه ضمير الشّأن اسم أنّ (٥)

من تولاّه: من اتّبع الشّيطان من خلق الله(٦) وقلّده(٧)

فأنّه يضلّه: فأنّ الشّيطان يضلّ من تولاّه. والهاء الّتي في: ﴿يضلّه﴾ عائدةٌ على من الّتي في قوله: ﴿من تولاّه﴾ وتأويل الكلام: قضي على الشّيطان أنّه يضلّ أتباعه ولا يهديهم إلى الحقّ(٨)

---

(١) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٩

(٢) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٩

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «مرد» ٤٦٦

(٤) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٩ وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ٧٧

(٥) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ٧٧

(٦) تفسير الطّبري ١٧/ ٧٩

(٧) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٦

(٨) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٩

ويهديه إلى عذاب السّعير: ويسوق من اتّبعه إلى عذاب جهنّم الموقدة(١)

ومن النّاس فريق، يجادل في الله تعالى، ويخاصم في توحيد الله تعالى وفي قدرته عزّ وجلّ على إعادة الحياة إلى الأموات يوم القيامة، ويقول بغير علمٍ صحيح، ويتّبع كلّ شيطانٍ من شياطين الجنّ والإنس، بعيدٍ عن الحقّ، عارٍ من الخير، ويستجيب لكلّ ناعقٍ بشرّ، داعٍ إلى باطل.

لقد قضى الله تعالى على الشّيطان المريد وكتب عليه كتابةً قَدَريّة(٢) أنّه من اتّبع الشّيطان الرّجيم وقلّده، واتّخذه وليّاً من دون الله تعالى ونصيرا، فأنّ الشّيطان الرّجيم يضلّه في الدّنيا عن سبيل الرّشاد والهدى، ويقوده في الآخرة إلى مهاوى الشّقاء والرّدى.

ومن البيّن أنّ هذا الفريق هو الّذي عطّل نعمة العقل، واتّبع السّفهاء الفجرة، والكبراء الكفرة، وكان الببّغاء الّذي عقله في أذنيه. إنّه يردّد ما يقول الكفرة الفجرة ويدافع بحماقةٍ عن آرائهم السّقيمة الّتي يتبنّاها ويتوهّم أنّها من بنات أفكاره، شأن السّخفاء في كلّ زمانٍ ومكان. ومن البيّن كذلك أنّ هذا الفريق يكاد يكون الفريق الأكثر عدداً. ما أكثر الغوغاء وأشدّ ضلالهم في الأولى وعذابهم في الآخرة ﴿وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا﴾(٣)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى
رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

(١) تفسير الطّبري ١٧/ ٨٩

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٦

(٣) سورة الكهف ١٠٤

طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى
ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾

فإنّا خلقناكم من تراب: أي أصل برئه لكم من تراب وهو الّذي خلق منه آدم عليه السّلام(١)

ثمّ من نطفة: ثمّ جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين(٢)

ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة: وذلك أنّه إذا استقرّت النّطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوماً. كذلك يضاف إليه ما يجتمع إليها. ثمّ تنقلب علقةً حمراء بإذن الله. فتمكث كذلك أربعين يوماً. ثمّ تستحيل فتصير مضغةً قطعةً من لحمٍ لا شكل فيها ولا تخطيط. ثمّ يشرع في التّشكيل والتّخطيط فيصورّ منها رأسٌ ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء. فتارةً تسقطها المرأة قبل التّشكيل والتّخطيط. وتارةً تلقيها وقد صارت ذات شكلٍ وتخطيط. ولهذا قال تعالى: ﴿ثمّ من مضغةٍ مخلّقةٍ وغير مخلّقة﴾ أي كما تشاهدونها(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٠٦

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢٠٦

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٢٠٦